

SJPS

The Saudi Journal of Philosophical Studies

المجلة السعودية للدراسات الفلسفية

مارس 2023

تصدر عن مؤسسة معنى الثقافية

العدد الثالث

معنى

المجلة السعودية للدراسات الفلسفية SJPS

علمية مُحكَّمة | تصدر عن مؤسسة معنى الثقافية

العدد الثالث | مارس 2023

www.manaa.net/sjps

sjps@manaa.net

الخطوات المنهجية في تحليل الخطاب عند فوكو

Methodological steps in Foucauldian discourse analysis

عبد الحق قاسمي

المعهد الوطني للبحث في التربية - الجزائر

الخطوات المنهجية في تحليل الخطاب عند فوكو

Methodological steps in Foucauldian discourse analysis

عبد الحق قاسمي

المعهد الوطني للبحث في التربية - الجزائر

Abstract

The research aims to show the methodological steps followed by Michel Foucault in his discourse analysis, whether it is related to the selection and organization of his corpus or to the interpretation and the critique of the phenomena. The problematic of the research is to find out at what extent there are apparent steps for his procedures, by relying on a dynamic approach in dealing with his work, mainly because of the changes and development he brought to his model. The research called for the adoption of a set of steps in the analysis, based in mainly on the preparation and organization of the corpus, in addition to a set of rules that should be considered when interpreting and criticizing it, while acknowledging that Foucault adjusts his method according to the knowledge (Savoir) he wants to analyse.

Keywords: archeology; genealogy; discourse analysis methods.

ملخص

يرمي هذا البحث إلى تتبع المنهجية التي يعتمد عليها ميشال فوكو في تحليله للخطاب، سواء تعلق ذلك باختيار وتنظيم مدونته الخطابية أو بتفسير الظواهر التي يدرسها ونقدها، انطلاقاً من التساؤل عن مدى وجود خطوات ظاهرة لهذه النظرية، بعد الخلاف القائم في هذا الشأن، وذلك بالاعتماد على منهجية ديناميكية في التعاطي مع أعماله، للتغيير والتطوير الذي أحدثه فوكو على نموذجيه. وقد دعا البحث إلى تبني مجموعة من خطوات في التحليل، قامت في مجملها على إعداد المدونة وتنظيمها، إضافة إلى مجموعة من القواعد التي ينبغي مراعاتها عند تفسيرها ونقدها، مع الاعتراف بأن فوكو يؤقلم طريقته بحسب المعرفة التي يريد تحليلها، بحيث تحكم المعرفة والجهاز والتساؤلات التي يريدها طريقة التحليل.

الكلمات المفتاحية: أركيولوجيا؛ جينياولوجيا؛ مناهج تحليل الخطاب.

1. مقدمة

في النفسانيات بالخصوص، حيث انطلقا مما قام به كيندال وويكام ليخرجا بخمس نقاط إرشادية تعمدًا أن يجعلانها «مرنة» في التحليل الفوكوي للخطاب، من ذلك اختيار مدونة من الملفوظات وطرح الإشكاليات والتعرف على التكنولوجيات (تكنولوجيا الإنتاج، تكنولوجيا نظام العلامات، تكنولوجيا القوة تكنولوجيا الذات)، ومواقف الأشخاص (الذوات)، والتشخيص. ولكن في الوقت نفسه، يعترفان بعدم وجود قواعد ثابتة لتحليل فوكو في عدة مواضع من مقالهما⁽⁴⁾.

ومن المحاولات التي سعت إلى استخراج إجراءات التحليل التي قام بها فوكو مساهمة إيلين آل (Elen Ahl)⁽⁵⁾ والتي أشارت إلى سبعة إجراءات، يقوم تحليل فوكو على ضوءها، وهي: المنع (ما لا يسمح قوله)، إرادة الحقيقة، القواعد الداخلية، ووظيفة المؤلف، والتنظيمات الانضباطية (Disciplinary regulations)، الفرز بين المتلفظين، والأفكار والحقائق المثالية. وكذا ما قامت به ويليج (Willig)⁽⁶⁾ والتي اعتمدت ست مراحل للعلاقة بين القوة والمعرفة واللغة، وتتعلق الخطوات التي أشارت إليها بالمواضيع الخطابية والتوجيه العملي وتحديد المواقع والممارسة والذاتية كمفاهيم تحليلية. فالواضيع الخطابية هي موضوعات أو بؤر الخطابات المستخدمة لبناء نظرة شخصية للعالم. يشير اتجاه العمل إلى مؤشرات المواقف الشخصية التي يتم اتخاذها في عبارات حول الأشياء الخطابية، والتي تثير أسئلة حول دوافع استدعاء الأحداث المتعلقة بالمواضيع الخطابية. كما يحدد الموقع الموضوعات ضمن هيكل الحقوق والمسؤوليات. تؤكد طريقتها على البعد التفسيري للبناء الاجتماعي للمعرفة: ما يختاره الشخص لتضمينه في الردود على أسئلة المقابلة يضعه فيما يتعلق بموضوع (أغراض) التحليل. في هذه الدراسة، يتضح أن الخطابات المتعلقة بالتعليم الديني والحضور في قدامس الأحد تتفاعل مع خطابات أخرى لبناء الهويات الدينية للطلاب المستخدمة في الدراسة، ويساهم التفاعل في تقييم التعليم الديني.

Reader, 2001, 380–99.

4. من ذلك قولهما: "لا توجد قواعد أو إجراءات محددة للقيام بتحليل مستوحى من فوكو (ص. 110) واعترافهما بأنه لا يوجد برنامج عمل متسق يمكن منه استخلاص منهجية (ص. 110)، وأنه لا يوجد شيء يشبه «تحليلًا فوكويًا للخطاب (ص. 120).

5. Ahl, Helene. "A Foucauldian framework for discourse analysis." *Handbook of qualitative research methods in entrepreneurship* (2007): 216-52.

6. Willig, Carla. "Discourse analysis." *Qualitative psychology: A practical guide to research methods 2* (2003): 160-186.

Willig, Carla. "Phenomenological psychology: Theory, research and method." *Existential Analysis* 19.2 (2008): 429-433.

يتعدى تأثير فكر ميشال فوكو (Michel Foucault) ميدان الفلسفة، حيث نجد مناهج متفرعة عن منهجيته في علوم مختلفة، كالتاريخ وعلم الاجتماع والنفسانيات والعلوم السياسية وحتى في الطب، وغيرها. كما أن له في اللسانيات تأثير خاص، ولو تنكر لها في تحليله⁽¹⁾، فقد حصر دراستها على الظواهر اللغوية السطحية، ولا أدل على تأثيره في اللسانيات من كون المفاهيم التي وضع أسسها في أعماله وخاصة في كتابه *أركيولوجيا المعرفة* ألهمت كثيرا من الدراسات اللسانية إلى إعادة النظر في كثير من المسائل التي كانت من المسلمات، إضافة إلى كون أعماله ساهمت في إرساء تحليل الخطاب كعلم مستقل.

وقد شغلت منهجية فوكو في تحليل الخطاب بال كثير من الباحثين، في محاولة إلى حديد الخطوات والقواعد التي يعتمدها فوكو في تحليله للخطاب، من ذلك ما قام به كيندال وويكام (Kendall & Wickham)⁽²⁾ بتحديدهما خمس خطوات في استخدام «التحليل الفوكوي للخطاب». انطلاقا من الاعتراف البسيط بأن الخطاب عبارة عن مجموعة من الملفوظات المنظمة بطريقة منتظمة ومنهجية. ثم: كيف يتم إنشاء هذه الملفوظات؛ وما يمكن أن يقال (مكتوب) وما لا يمكن؛ وكيف يتم إنشاء المساحات التي يمكن فيها إنشاء عبارات جديدة؛ أما الخطوة الأخيرة فتتعلق بجعل الممارسات مادية وخطابية في نفس الوقت.

نجد أيضا محاولة أريباس-أيليون وواكردين (Arribas- Ayllon & Walkerdine)⁽³⁾ الذان حاولا تطبيق منهجية فوكو

1. انظر:

Dominique MAINGUENEAU, 'Archéologie et Analyse Du Discours', 5, 2001, vii <http://www.revues-texto.net/Reperes/Themes/Maingueneau_Archeologie.html> [accessed 25 May 2021].

2. Kendall, Gavin, and Gary Wickham, *Using Foucault's Methods* (6 Bonhill Street, London England EC2A 4PU United Kingdom: SAGE Publications Ltd, 1999) <<https://doi.org/10.4135/9780857020239>>

3. Michael Arribas-Ayllon and Valerie Walkerdine, 'Foucauldian Discourse Analysis', *The Sage Handbook of Qualitative Research in Psychology*, 2008, 91–108; Linda J. Graham, 'Discourse Analysis and the Critical Use of Foucault', *The Australian Association of Research in Education Annual Conference*, 2005 <<https://eprints.qut.edu.au/2689/>> [accessed 23 July 2021]; Valerie Harwood, 'Truth, Power and the Self: A Foucaultian Analysis of the Truth of Conduct Disorder and the Construction of Young People's Mentally Disordered Subjectivity', 2000; Margaret Wetherell, 'Debates in Discourse Research', *Discourse Theory and Practice: A*

يضاف إلى أعماله بحوث الشرح والنقاد الذين تعرضوا إلى أعماله، ويمكن أن أشير هنا إلى كتاب جيل دولوز⁽¹⁰⁾ الذي ناقش فيه منهجيته وشرح فيه أفكاره ومفاهيمه، فأهمية هذا الكتاب لا تكمن فقط في توضيح الكثير من المفاهيم المشفرة في كتابات فوكو، لكن دولوز كعادته، يتفلسف من خلال تأريخه لأفكار فوكو، كما فعل مع الفلاسفة والمفكرين الآخرين في كتب أخرى، ما سمح له بالتعمق في كثير من تلك المفاهيم. كما يجب التنبيه أيضاً إلى أعمال اللسانيين التي تعاملت مع فوكو وعلاقته بتحليل الخطاب خاصة⁽¹¹⁾.

ولا يزال فوكو يعمل على تطوير منهجيته مع كل عمل ينشره، وهو ما جر عنه غموض تجلى في اختلاف الشرح في عرض نظريته ومنهجيته، واتهامه بالتضارب في بعض أقواله. إذ كان التنظير المنهجي والإبستمولوجي الذي وضعه في أركيولوجيا المعرفة بعد تحليل خطاب الجنون في العصر الكلاسيكي وخطاب ميلاد العبادة، سعياً منه إلى التنظير لما قام به في تلك الأعمال، واستدراك الهفوات والنقائص التي وقع فيها، أما التنظير الذي رافق تحليلات تطبيقية أخرى كما في المراقبة والعقاب وفي تاريخ الجنسانية، فلم يطبق فيها حرفياً ما عرضه في أركيولوجيا المعرفة، فنصوص فوكو لا تقوم على نموذج واحد، إذ إنه خلال مسيرته العلمية تخلى عن مفاهيم واستحدث غيرها، وتراجع عن آليات منهجية في التحليل واستبدلها بأخرى، فلا يزال يطور في نظريته ويعدل في مفاهيمه ليتناسب كل تحليل مع الموضوع الذي يتناوله. لذا نراه استعمل مصطلحات في أركيولوجيا المعرفة ك: الأرشيف (Archive) والتشكيلات الخطابية (Formations discursive) وقوانين التشكيل (Règle de formation) والملفوظ (Énoncé) والندرة (rareté) والعتبات (Seuils) والاستراتيجيات الخطابية (Stratégies discursive)، إلا أنه لم يستعملها بعد ذلك.

ما يسعى هذا البحث إلى التوصل إليه هو تحديد خطوات دقيقة ومحددة تسمح لأي باحث عند اتباعها من القيام بتحليل للخطاب على طريقة فوكو، أما الدراسات التي أشرت إليها أعلاه فهي تتعلق بقواعد عامة وإرشادات، وقد أشرت إلى شيء من هذا القبيل في الخطوة الأخيرة من هذا البحث. هذا، وإن كان هناك اعتقاد سائد بأن فوكو لم يعتمد على أي خطوات أعدها مسبقاً ليقوم بالتحليل⁽⁷⁾، فإن هذه الخطوات وإن لم تُبين طريقته في اختيار الخطابات التي يعتمد عليها وتلك التي يهملها (موضوع بحث آخر)، فإنها مهمة في رسم حدود مدونته، وطريقة اختياره لمواضيعه، والزوايا التي يختار التطرق إليها، والضوابط التي يلتزم بها عند تحليله. فسيُسمح لنا هذا من تحقيق هدفين يسعى هذا البحث إلى التوصل إليهما: أولاً، تحديد المراحل المنهجية في التحليل، بحيث يقدم مجموعة من الخطوات التي تسمح عند تتبعها من تحليل تشكيلة خطابية؛ والهدف الآخر هو تحديد العناصر المنهجية والمفاهيم الإجرائية التي ترسم ما يسمى تحليلاً فوكوياً للخطاب.

أما مدونة هذا البحث فستعتمد أساساً على أعما فوكو، والتي يمكن تصنيفها إلى صنفين، صنف نظر فيه للمنهجية التي اشتغل عليها، مثل ما نجد في كتابه أركيولوجيا المعرفة⁽⁸⁾، وأكثر المقالات والدروس التي ألقاها في الكوليج دو فرانس (Collège de France)، وصنف ثان تطبيقي، جسّد فيه هذه النظرية وهذه المنهجية من خلال تحليله لتشكيلة خطابية في حقبة تاريخية ما، يدخل في هذا النوع كتبه: تاريخ الجنون، والمراقبة والعقاب، وتاريخ الجنسانية، وإن اختلط في كثير منها التطبيق بالتنظير، لذا فإن هذا التفريق من باب التعميم لا غير⁽⁹⁾.

7. Michael Arribas-Ayllon and Valerie Walkerdine, 'Foucauldian Discourse Analysis', *The Sage Handbook of Qualitative Research in Psychology*, 2008, 91–108; Linda J. Graham, 'Discourse Analysis and the Critical Use of Foucault', *The Australian Association of Research in Education Annual Conference*, 2005 <<https://eprints.qut.edu.au/2689/>> [accessed 23 July 2021]; Valerie Harwood, 'Truth, Power and the Self: A Foucaultian Analysis of the Truth of Conduct Disorder and the Construction of Young People's Mentally Disordered Subjectivity', 2000; Margaret Wetherell, 'Debates in Discourse Research', *Discourse Theory and Practice: A Reader*, 2001, 380–99.

8. صدرت الطبعة العربية له في 1987، عن المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، بترجمة سالم يفوت، وترجم العنوان «حفريات المعرفة»، وهنا استعملت الأركيولوجيا للمعنى الذي سوف آتي على توضيحه في مقصد المؤلف من هذا المصطلح، واشترآكه مع معنى الأرشيف في الجذر، فلا علاقة له بالحفر والبحث عن الحفريات، بل هو ينفي هذا.

9. يعترف نفسه بهذا في لقاء قام به في 1980، حيث مايز بين كتبه على 3

أصناف: كتب منهجية وكتب استكشاف، وكتب مختلطة، فيقول:

«J'écris, un peu en alternance, des livres que j'appellerais d'exploration et des livres de méthode. Livres d'exploration: Histoire de la folie, Naissance de la clinique, etc. Livres de méthode: L'Archéologie du savoir. Ensuite, j'ai écrit des choses comme Surveiller et Punir, la Volonté de savoir» «Entretien avec Michel Foucault» (1980), p. 861.

10. Gilles Deleuze, *Foucault* (U of Minnesota Press, 1988).

11. Jacques Guilhaumou, 'A Propos de l'analyse de Discours: Les Historiens et Le «tournant Linguistique»', *Langage & Société*, 65.1 (1993), 5–38; MAINGUENEAU, vii.

2. أسس التحليل الفوكوي للخطاب: «هل هناك منهجية فوكوية؟»

قبل التطرق إلى الخطوات التي يتبعها فوكو في تحليله لا بد أولاً من التعرض إلى مسألة مهمة تتعلق بمدى اعتماد فوكو لمنهجية معينة، بله أن تكون لها خطوات ثابتة.

لقد تشكلت حول أفكار فوكو واقتراحاته مدرسة لتحليل الخطاب مستقلة، وجدت لها مناصرين وقد اعترف بالاشتغال عليها كثيرون⁽¹²⁾، ويُدعى هذا المنهج بالتحليل الفوكوي للخطاب (Foucauldian discourse analysis)، وهو يركز على علاقات القوى في المجتمع والتي تظهر من خلال اللغة (المفوضات) والسلوك (المرئيات)، وكذا العلاقات التي بين اللغة والقوة.

غير أننا إذا ما تتبعنا الدراسات المنضوية تحت هذا المنهج فإننا نجد فيها اختلافات كثيرة، وذلك لاختلاف التصورات التي وضعها هؤلاء لمنهجية فوكو، خاصة وأن منهجيته يبدو عليها الغموض وعدم الخضوع إلى تنظيم مخطط بشكل مسبق⁽¹³⁾، وعلى ضوء هذا يمكن أن نفهم تحذير أوفارال (C. O'Farrell) التي ترى أن نظرية فوكو لا يمكن الولوج إليها وأنها خطيرة⁽¹⁴⁾، وهذا ما حدا بكثير من المحللين المنتسبين إلى هذا المنهج إلى أن يتبنوا تحفظاً «فوكويًا» عن التصريح عن منهجيتهم⁽¹⁶⁾. فبمجرد ربط التحليل بموضوع القوة والاستشهاد بأقوال فوكو يبيع الكثير لأنفسهم التسمي بالمنهجية الفوكوية. ولعل الاعتراف بأن التحليل الفوكوي للخطاب يفتقد إلى منهجية محددة⁽¹⁷⁾ هو الذي جرّهم إلى عدم التزام طريقة واحدة في التحليل. إضافة إلى هذا، فكثيراً ما يُربط فوكو بمواقف دريدا (J. Derrida) وليوتار (J-F. Lyotard) وغيرهما من رواد ما بعد البنيوية، حيث يتجسّب هؤلاء ادعاء الموضوعية والحقيقة في

12. أمثال:

Ian Parker, *Discourse Dynamics: Critical Analysis for Social and Psychological Analysis* (Routledge, 1992); Norman Fairclough, 'Discourse Analysis: The Critical Study of Language', Londres/Nueva York: Routledge, 1995; Peter Banister, Geoff Bunn, and Erica Burman, *Qualitative Methods in Psychology: A Research Guide: A Research Guide* (McGraw-Hill Education (UK), 2011); Thomas K. Nakayama and Robert L. Krizek, 'Whiteness: A Strategic Rhetoric', *Quarterly Journal of Speech*, 81.3 (1995), 291-309.

13. انظر: Graham.

14. Clare O'Farrell, *Michel Foucault* (California: SAGE Publications Ltd, 2005).

15. «inaccessible and dangerous»

16. Graham.

17. Arribas-Ayllon and Walkerdine.

نتائجهم، مدعين أنه لا يمكن أن يكون هناك حقائق علمية أو مواقف أخلاقية مطلقة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ملتزمين في ذلك بمسلمة عدم اليقين فيها⁽¹⁸⁾. نتيجة لهذا ترى هاروود (Harwood)⁽¹⁹⁾ أن هذا اللاتنظام والفوضى في منهجية فوكو كان أمراً مقصوداً، وأن فوكو لو حدد منهجية مسبقاً لكان ذلك مخالفاً لأفكاره وما كان يدعو إليه، ولوقع فيما كان ينتقده حول الحقيقة والعلم.

ينبغي التنبيه أن هذا الرأي قائم على نسبة المنهجية الجينيولوجية لفوكو، وأن المنهجية الأركيولوجية تخلى عنها. وقد اشتهر عند كثيرين تبعاً لدرايفوس ورايينو (H. L. Dreyfus & P. Rabinow)⁽²⁰⁾ تمييز حقتين لأعمال فوكو، الأولى اشتغل فيها على المنهجية الأركيولوجية، أما الأخرى فاتبعت فيها المنهجية الجينيولوجية التي تظهر بحسبها منذ مقاله عن نيتشه والجينيولوجيا والتاريخ⁽²¹⁾، فالمنهجية الجينيولوجية من هذا المنظور مستوى أكمل وأنضج من المنهجية الأركيولوجية. إلا أن هذا التمييز التاريخي هو بخلاف ما يعترف به فوكو نفسه، حيث يجعل بين المنهجيتين تكاملاً، فيقول إجابة على سؤال أحد طلبته في معنى الأركيولوجيا:

«الجينيولوجيا هي الغرض من التحليل في حين أن الأركيولوجيا هي الإطار المادي والمنهجي»⁽²²⁾

بمعنى آخر، إذا كانت الأركيولوجيا تعني البحث في الأرشيف، والذي يتكون من الملفوظات والمرئيات، فإن الجينيولوجيا تُعنى بالبحث عن البدايات، ويمكن إعمالهما معا ببساطة عن طريق البحث عن البدايات في الأرشيف.

وعلى هذا، فإذا كانت الجينيولوجيا الهدف النظري العام، فتطبيقها يكون بالمنهجية الأركيولوجية، لأن الجينيولوجيا ليس لها منهجية ثابتة، وإن قامت بشكل عام على تتبع أصل معرفة (أو ظاهرة) معينة، فهي بهذا تشبه التاريخ، وتختلف عنه من جهتين:

19. Harwood, p. 42.

20. H. L. Dreyfus and P. Rabinow, *Michel Foucault: Beyond Structuralism And Hermeneutics, With an Afterword by and an Interview with Michel Foucault* (The University of Chicago Press, 1983).

21. 'Nietzsche, La Généalogie, l'histoire', in *Hommage à Jean Hippolyte* (PUF, 1971), pp. 145-72.

22. « la généalogie est la finalité de l'analyse [dont] l'archéologie est le cadre matériel et méthodologique» Daniele Lorenzini and Henri-Paul Fruchaud, *Michel Foucault: Qu'est-Ce Que La Critique? Suivi de La Culture de Soi* (Vrin, 2015), p. 128.

ويذكر دولوز عدة أمثلة من التساؤلات التي طرحها فوكو في أعماله: من ذلك:

«ما الذي نراه في طبقة ما، عند هذه العتبة أو تلك؟ فلا نسأل فقط من أي المواضيع ننتقل، أو ما هي الصفات التي نتبعها، أو على أي حالة نستقر، بل: كيف نستخرج الرؤى من هذه الموضوعات والصفات والأشياء؟ بأي طريقة تتألق، تلمع، وتحت أي ضوء، كيف يتجمع الضوء على الطبقة؟ ومرة أخرى، ما هي المواقف الخاضعة كمتغيرات لهذه الرؤى؟ من يشغلهم ويرى؟ [...] ما هي مدونة الكلمات والجمل والقضايا؟ كيف نستخرج «الملفوظات» التي تعبر من خلالها؟ تحت أي مجموعة لغوية تنشئت هذه الملفوظات، حسب الأسر والعتبات؟ ومن يتكلم؟»⁽²⁷⁾

يمكن من خلال هذا أن نتعرف على التساؤلات المنهجية التي يجب أن تطرح قبل بداية التحليل، والتي سيتعرض هذا البحث إلى جانب منها من خلال الخطوات القادمة، وهو ما سيسمح بالتعرف إلى هذه المصطلحات التي استعملها لفهمها بشكل أوضح.

طريقة فوكو في التأريخ تقوم على اختيار إشكالية معينة، وليس فترة تاريخية، فالتاريخ ليس سوى ميدان للإجابة عن الإشكالية التي يريد معالجتها، وفي هذا وجه من أوجه الاختلاف بين منهجيته ومنهجية المؤرخين المعتمدة على تتبع الأحداث التاريخية. فعند التحليل لا بد أن يبدأ الباحث بطرح التساؤلات قبل أي شيء، ثم يضع لها الإطار التاريخي والخطابي المناسب لها. قد تكون الإشكالية التي يسعى فوكو إلى معالجتها هي: «كيف صار العزل وسيلة لحفظ المجتمع» أو «كيف ظهر السجن باعتباره الشكل الرئيسي للعقاب؟» أو «كيف أصبح الجنس يُنظر إليه على أنه مهم في تحديد هويتنا؟»، ومن خلالها ينطلق فوكو في تناول موضوعه، معتمدا في ذلك على تساؤلات فرعية، يتحدد من خلالها أجزاء بحثه والعناصر التي سيتناولها من فيه.

2.3. تحديد غرض الدراسة: «المعرفة»

يتعلق هذا العنصر بتحديد المادة المعنية بالتحليل، ففوكو لا يحلل نصوصا ذات بناء لغوي، بل يدرس معرفة، ويدرسها عبر الأرشيف. لذا لا بد من تحديد مقصوده بالمعرفة وبالأرشيف.

1. أن الجينيولوجيا لا تبحث عن نظرة التاريخ الشاملة، فالتأريخ في الجينيولوجيا لا يبحث عن شيء شامل، ولكن يحاول أن يفكك (Décompose) فبدلا من سؤال واحد جامع ك«ما هو الخير والشر» يطرح أسئلة على شكل «من يقرر ما هو الخير والشر؟ وكيف يقوم بهذا؟ ولماذا يقوم بهذا؟»⁽²³⁾. فهذا بالمنهجية الجينيولوجية طريقة علمية لكتابة تاريخ الأفكار:

2. يقسم فوكو الموضوع الذي يدرسه بوضعه في سياقه زمانيا ومكانيا، من أجل الكشف عن التغييرات المختلفة التي يمكن ملاحظتها في قيمة أو معيار أو مؤسسة أو تمثيل اجتماعي. وتبعاً لنيته فهو يبحث عن تأريخ ما لا تاريخ له، فالمعرفة لا تكون طبيعية، بل يبحث أين نتجت وما أصلها وما الذي أثر في مصيرها. ف«الجينيولوجيا الحقيقية لنيته أو فوكو هي حسابات وحكايات عن التكلفة والخسارة، وليست بالضرورة تواريخ الانحلال.»⁽²⁴⁾

وبقي التعرف في الجزء الثاني من هذا المقال على الخطوات التي يعمل عليها فوكو من أجل تحليله للأرشيف وتعرفه على جينيولوجية معرفة ما.

3. التحليل الفوكوي: «الخطوات المنهجية»

يمكن التعرف من خلال الملاحظة المتفحصية لتحليلات فوكو على مجموعة من الخطوات تسمح بتتبع منهجيته، وذلك انطلاقاً مما قام به في أركيولوجيا المعرفة وما طوره في أعماله اللاحقة. ولا تظهر المنهجية الأركيولوجية في أعمال فوكو إلا مجتمعة مع الجينيولوجيا، لذا سأقوم هنا بتحديد الخطوات التي يتبعها في تحليله من خلالهما معا.

1.3. طرح التساؤلات: «زوايا التحليل»

هناك اعتراف بين الباحثين على أن في المنهجية التي يعتمدها فوكو غموض⁽²⁵⁾ وفوضى⁽²⁶⁾، ويمكن لمس هذا الغموض في هذا العنصر بالخصوص، حيث ترتبط هذه الخطوة بالزوايا التي يتناولها التحليل، فهذه التساؤلات هي التي ستحكم ترتيب أفكاره والمجالات التي سيعالجها من خلال المعرفة التي يريد دراستها.

23. Saar, p. 234.

24. «The truly Nietzschean or Foucauldian genealogies are calculations and tales of cost and loss, not necessarily histories of decay.» Saar, p. 238.

25. Harwood.

26. Graham.

27. Deleuze, p. 70.

بعملية أركيولوجية على هذه الوثائق يكون بالسعي إلى فهم القوانين والممارسات والظروف وطريقة العمل.

فهو يسمي أرشيفا ليس: كل النصوص التي حُفظت في حضارة ما، ولا كل الآثار التي أنقذناها من خرابها، ولكن لعبة القواعد التي تحدد في ثقافة معينة ظهور الملفوظات أو اختفائها، توافقها أو انمحاءها، وجودها المتناقض من الأحداث والأشياء⁽³²⁾.

3.3. وحدة التحليل: «الملفوظ والمرئي»

يشير دولوز إلى أن فوكو لما اختار «الملفوظ» كوحدة للخطاب كان قصده أن يبحث عن شكل للتعبير يختلف عن كل الوحدات اللسانية أيًا كانت: دال، كلمة، جملة، قضية، فعل كلامي...، فهو يحلل الملفوظات وينظمها في مدونة متنوعة، ومحددة بتساؤل مطروح، إلا أن تنظيمه لهذه المدونة ليس اعتمادا على بنية محددة أو متلفظ ما، وإنما من باب اشتراكها في مجموعة معينة، كقوانين السجن في مصحة أو سجن أو قوانين التنظيم (التربية) التي تحكم الجيش أو المدرسة⁽³³⁾.

فاختياره للملفوظ دون الوحدات اللسانية الأخرى وسع مدونته أكثر من اللسانيين البنويين، لأن الملفوظ لا يتوقف عند حدود رسم الكلمة أو الجملة أو النص في جانبهم الشكلي كما تعود اللسانيون البنويون على تحليله، بل يدخل في الملفوظ كل ما له دلالة وأفاد معنى، وها هو يعزل تجنبه لاستعمال مصطلح «دال» بقوله: «حينما يصير الخطاب في حكم الدال فإنه يلغي وجوده في الواقع»⁽³⁴⁾، لأن الدال عند اللسانيين ملازم للشكل، وفوكو وإن جعل الملفوظ وحدة للشكل (في مقابل المرئي الذي يعده وحدة المحتوى) فهو هنا يعيد صياغة معنى الشكل بحيث لا يصير جمادا في الواقع.

وقد خصص في أركيولوجيا المعرفة فصلا بعنوان «تعريف الملفوظ»⁽³⁵⁾ الذي أطلقه إزاء مصطلح الخطاب الدال على الكل، فالملفوظ غير قابل للتفكك وقابل لأن يعزل بمفرده وأن يتعالق مع أمثاله، كما جعل الشروط الضرورية والكافية ليكون هناك ملفوظ هي وجود بنية قضوية (القضية هنا بمعناها المنطقي) محددة، وحتى وإن كانت مركبات ك: (هذا الرجل!) و (رائع) أو حتى الضمير (أنت!)، فالملفوظ له

32. انظر: Deleuze.

33. Deleuze.

34. «Le discours s'annule dans sa réalité en se mettant à l'ordre du signifiant» (Ordre du discours, 51)

35. *L'archéologie Du Savoir* (Gallimard Paris, 1969), i, pp. 109-20.

أما المعرفة⁽²⁸⁾ فترتبط عنده بمسألة القوة، من حيث إن النظام العام للمجتمع يقوم من خلال الإجراءات التنظيمية التي تقوم بها الدولة، يتساءل هنا: كيف تتشكل المعرفة في وقت ومكان معينين؟

ما يقوم به فوكو هو التأريخ لهذه المعرفة، ليس من حيث الاختراعات والاكتشافات التي غيرت مجرى العلم والتاريخ، ولكن يؤرخ للصورة التي كانت فيها مجموعة معينة من الأفكار أو وجهات نظر منتشرة لفترة طويلة من الزمن، ليتم استبدالها بعدها بمجموعة مختلفة من الأفكار إما تدريجياً أو على مرة واحدة. فاهتمامه يتعلق بالطريقة التي تتغير بها المفاهيم على مدار فترة زمنية طويلة⁽²⁹⁾.

فلما كان التاريخ صنيعا الإنسان، فمن المعقول أن يكون عرضة للتفسيرات المختلفة، فهو يتتبع هذه التفسيرات التي يضعها المجتمع لمعرفة معينة يدرس من خلالها نظرتهم لها، كما يهتم بـ«استخلاص المعرفة من الأفراد، واستخراج المعرفة عن هؤلاء الأفراد الخاضعين للاضطهاد والسيطرة»⁽³⁰⁾، متتبعا للخطابات التي ينتجها هؤلاء حول أنفسهم وحول وجودهم، وعملهم، وتأثيراتهم، وحياتهم الجنسية.. إلخ.

وقد صرح في كتابه أركيولوجيا المعرفة أنه يبحث في الأرشيف⁽³¹⁾، ويتعلق مفهوم الأرشيف بمفهوم الخطابات وبمفهوم الإبيستيميه (Épistémé) والذي قصد به تقسيما تاريخيا (Périodisation historique).

ويمثل الأرشيف مجموعة الخطابات التي تم إنتاجها في فترة معينة، والتي تستمر في الوجود على مر التاريخ، والقيام

28. يمايز فوكو بين «Savoir» و«Connaissance»، وتمييزه بينهما من حيث الذات العارفة أو الشخص الذي يحصل على المعرفة، فيتعلق معنى الأولى (وهي المعنية بالتأريخ الذي يقوم به) بالتعديل والتطور الذي يحصل على الذات العارفة أثناء قيامها بالوصول إلى المعرفة، في حين أن الأخرى ترجع إلى تكوين الخطاب حول أصناف الموضوعات (les classes d'objets) التي يُحكم على أنها قابلة للمعرفة بشكل مستقل عن الذات:

Judith Revel, *Le vocabulaire de Foucault* (Paris: ELLIPSES, 2009), p. 54..

29. Paul Oliver, *Foucault - The Key Ideas*, 1st edition (Abingdon England: Teach Yourself, 2013).

30. «pouvoir d'extraire des individus un savoir, et d'extraire un savoir sur ces individus soumis au regard et déjà contrôlés» Foucault, *Dits et Écrits, Tome II, Texte n o 139*, p. 1041.

31. بالفرنسية «Archive» وهو يرجع إلى نفس الجذر الذي يصاغ منه مصطلح أكيولوجيا «Acheologie». كما أن من يشتغل على الأرشيف هو الأرشيفي، وبالفرنسية «Archeviste»، فوكو في تحليله للخطاب يعمل عمل الأرشيفي كما يعبر عن ذلك دولوز في (1986: 11).

ينتج تصريحات حول الإجرام، في حين أن التصريحات حول الإجرام تدفع إلى إنتاج أشكالاً من المرئيات تتمثل في السجن.

4.3. اختيار الطبقة التاريخية: «الاستمرارية التزامنية»

هذه الملفوظات والمرئيات تتشكل ضمن طبقة (Strate)، ومفهوم الطبقات مفهوم آخر مركزي عند فوكو، وتعني تشكيلات تاريخية، فهو يرى المعرفة على شكل طبقات، ففي الكلمات والأشياء حاول أن يدرس المعرفة وكيف تتحدد باعتبار الطبقة التي وردت فيها، فمنذ مقدمة هذا الكتاب، يحاول أن يتعرف على التأثير الذي تحدته حقبة تاريخية ما على طريقة التفكير، وكيف تحدُّنا الحقبة التي وُجدنا فيها في التفكير، لذا يطرح هذه الإشكالية: «ما الذي يستحيل أن نفكر فيه؟». فالمعرفة الفردية للشخص محكومة بالطبقة التي وُجد فيها، ومربوطة بطريقة التفكير المعدة في تلك الحقبة، وحتى الأفكار الثورية التي نراها تغير مجرى التفكير في علم من العلوم أو في طريقة التفكير، لم يكن لها إلا أن تكون في زمانها الذي وردت فيه، فالمعرفة تراكمات وليس في إمكان فكرة جديدة أن تخرج للعلن إذا لم يسبقها أفكار ومعارف تمهد لصدورها، وعلى هذا التصور يمكن فهم موقفه في المناظرة الشهيرة التي جمعتها بتشومسكي⁽³⁸⁾، حيث أكد على أن الفضل في اكتشاف قانون الجاذبية لا يرجع إلى نيوتن الفرد، فليس عبقريته (قدراته الإدراكية) هي التي أوصلته إلى ذلك، بل الفضل يعود إلى الحقبة التاريخية التي عاش فيها، والتراكمات العلمية والمعارف التي سبقته، والتي بنى عليها معرفته، فالظروف التاريخية كانت مهينة لاكتشاف قانون الجاذبية في تلك الفترة، إن لم يكن على يد نيوتن كان سيكون على يد عالم آخر. وهذه الطبقات أو التشكلات التاريخية تحكم أيضاً طريقة تفكيرنا، ونظرتنا للأشياء وكيف نُصنِّفها.

إلا أن هذا الاختيار يوقع في إشكال منهجي واجهه المؤرخون قبله، وهو في التعرف على حدود هذه الطبقات، متى تبدأ ومتى تنتهي؟ فمن المؤكد أن هذا التقسيم نظري لا يمكن لمسه في الواقع، فتاريخ الإنسانية (وكذا المعرفة) استمراري، ولا ينتهي في لحظة زمنية ما ليترك المجال إلى حقبة جديدة، فأى «تحقيب» للتاريخ قد يُفضي إلى إهمال هذه الاستمرارية التتابعية التي تطبع التاريخ، وفوكو نفسه يعترف بهذا، إلا أنه يعتبر هذا التقسيم ضرورة لا بد منها، معوضاً الاستمرارية التتابعية باستمرارية تزامنية كما برر ذلك في محاضراته »

علاقة بتأدية الدلالة، فالكتب المشكلة من قوائم، وكذا تقارير الجرد وكذا شجرة عائلة، ليست جملاً ولكنها ملفوظات. إلا أن فوكو يعترف أن الملفوظ لا يحمل خصائص خاصة به، وأن ليس له تعريف لائق.

ولا شك أن مقارنة فوكو تختلف عن المقاربات الأخرى لتحليل الخطاب من حيث إنها لا تعتمد على اللغة بشكل مركزي، فهو يعتمد على مفهوم المرئيات (Les visibilités) إضافة إلى الملفوظات في تحليله، وهي تتعلق بالمحتوى. فنجد في الكلمات والأشياء يصف لوحة الوصيفات (Les ménines) للفنان فيلاسكز (Vélasquez) وصفاً دقيقاً، مؤكداً على الرؤية التي يقوم بها المشاهد للصورة، وما يمكن مشاهدته والتعرف عليه من الصورة وما هو غير مرئي مما لا يمكن التوصل إليه من الأماكن التي أخفيت عنه، حيث أظهر تعدد زوايا النظر من خلال وصفه لها، والتبادلات والانعكاسات، وإلى مكان الملك الذي يؤدي إلى خارج اللوحة.

ولكن لماذا أخذ فوكو يطنب في الوصف لكل ما يراه ويفهمه من الصورة؟ ليقول لنا أنه مهما أطنب في الوصف فلا يمكن للملفوظ (أي للغة) أن يحل محل المرئي، فهو يتحدث عن أهمية المرئي في مقابل الملفوظ من حيث كون «علاقة الكلمة بالرسم علاقة لامتناهية»⁽³⁶⁾، أنهما لا يمكن أن يختزل أحدهما الآخر على حد تعبيره.

وقد حاول من خلال وصفه هذا أن يحدد القواعد التي يخضع لها المعنى في اللوحة، أي كيف ينتج المعنى من اللوحة، ليس من خلال مقصود الصباغ (فيلاسكس)، وإنما من خلال نظرة المشاهد.

ويظهر منذ كتابه *المراقبة والعقاب* ترسيمه لمصطلح المرئي، إذ يظهر اعتماده عليه بشكل كبير مقارنة بأعماله السابقة، وهذا ما جعل كثيرين يميلون إلى التفريق بين مرحلتين من منهجية فوكو، وأنه في كتابه *المراقبة والعقاب* لم يعتمد المنهجية الأركيولوجية، لأنه لم يقتصر على تحليل الخطابات، لذا وجب التأكيد هنا أن مفهوم الأرشيف عنده لا يقتصر على الخطابات المتكونة من الملفوظات، بل كذلك من الأنوار والتي تتكون من المرئيات، ففي مناقشته لميلاد السجن في *المراقبة والمعاقبة*⁽³⁷⁾، تتمثل مهمة فوكو المركزية في إظهار كيف أن السجن كشكل من أشكال المرئيات (شيء مرئي)

36. Michel Foucault, *Les Mots et Les Choses* (Paris: Gallimard, 1966)

37. Michel Foucault, *Surveiller et punir: Naissance de la prison* (Paris: Gallimard, 1975).

38. Noam Chomsky and Michel Foucault, *The Chomsky-Foucault Debate on Human Nature* (New Press, 2006).

البنية الشكلية الضمنية فنحن هنا في التصور الذي يبحث عن أنظمة وقواعد تحولها. لذا يسعى إلى التعرف على النظام المفاهيمي الذي تنتجه معارف فترة ما.

إلا أن مفهوم الإبيستيمه يختلف عن مفهومي البنية والنظام، حيث يقصد به مجموعة العلاقات التي تربط أشكالاً مختلفة من الخطابات وترجع إلى فترة تاريخية معينة، فهو يسمي إبيستيمه «ظواهر العلاقة بين العلوم أو بين الخطابات العلمية المختلفة»⁽⁴¹⁾.

وبالنسبة له ليس هناك بالضرورة تقدم في العملية التاريخية، والتغييرات تنتج عن الانتقال من إبيستيمه إلى آخر، هذه الانتقالات ليس سببها تحسين المعرفة، ولكنها تعتمد على أحداث ثقافية غير محددة نسبياً، وعلى فترات انقطاع غامضة⁽⁴²⁾.

في تاريخ الجنون نجد قِطعاناً إبيستيمولوجيان؛ ما يتعلق بالمرور من عصر النهضة إلى الكلاسيكي والخاص بالمرور من العصر الكلاسيكي إلى الحداثة. أما في الكلمات والأشياء فيحدد 3 إبيستيمات (في أوروبا):

- إبيستيمه النهضة (La renaissance)

- الإبيستيمه الكلاسيكي (L'épistémé Classique)

- الإبيستيمه الحديث (L'épistémé Moderne)

فإبيستيمه عصر النهضة تهيمن عليه نظرة كونية للعالم، يمكن من خلالها تنظيم كل شيء فيه. فيبحث في هذا الإبيستيمه عن التشابه والتماثل. أما في الإبيستيمه الكلاسيكي، فالنظام والهوية والاختلاف هي التي تعمل على تشكيل تمثيل العالم. أما عصر الحداثة، ففي هذا الإبيستيمه يمكن أن تصبح الحياة والعمل واللغة موضوعات للدراسة، حيث انتقلنا من التاريخ الطبيعي إلى علم الأحياء، ومن تحليل الثروة إلى الاقتصاد، ومن الفيلولوجيا والقواعد إلى اللسانيات، فيظهر الإنسان من خلال العلوم الإنسانية كموضوع للمعرفة. كل هذه العلوم الجديدة تغيرت في الطبيعة والشكل، مما يعني قطيعة مع تلك التي تسبقها⁽⁴³⁾.

41. «ce sont tous ces phénomènes de rapport entre les sciences ou entre les différents discours scientifiques qui constituent ce que j'appelle épistémé d'une époque» (Les problèmes de la culture un débar Foucault-Prete) Il Biesmester, n 22-23, sept-déc. 1972, repris in DE vol.2 texte 109)

42. Foucault, *Les Mots et Les Choses*, p. 229.

43. Juignet Patrick, 'Michel Foucault et Le Concept d'épistémé', *Philosophie, Science et Société*, 2015 <https://philosciences.com/10>.

«Revenir à l'histoire»⁽³⁹⁾.

فوكو لا يدرس النصوص وإنما يدرس عتبة ضمن طبقة تاريخية ما، ويدخل في هذه العتبة ما هو خطابي من وثائق متكونة من اللغة (أو مما هو ملفوظ) ولكن أيضاً يدخل فيها ما هو غير خطابي، إلا أن الهدف هو دراسة العتبة التي تمثل المعرفة، وليس هدفها دراسة الخطاب، فاختيار الوثائق يقع في الدرجة الثانية عند فوكو، يستدعها حين يحتاج إليها، فهي بهذا المنظور خادمة لموضوع التحليل؛ أي للمعرفة.

5.3. البحث عن القواعد: «من الإبيستيمه إلى الجهاز»

يعرف فوكو الإبيستيمه أنه:

«مجموعة العلاقات التي يمكن أن توجد، في وقت معين، الممارسات الخطابية التي تؤدي إلى ظهور الأشكال الإبيستيمولوجية، وإلى العلوم، وربما إلى النظم الرسمية؛ وهو الطريقة التي وفقاً لها يتم تحديد وتشغيل الممرات إلى الإبيستيمولوجية، والعلمية، وإضفاء الطابع الرسمي، في كل من هذه التشكيلات الخطابية: [...] فالإبيستيمه، ليس شكلاً من أشكال المعرفة أو نوعاً من العقلانية التي من شأنها إظهار الوحدة السيادية للذات أو العقل أو العصر عبر عبور العلوم الأكثر تنوعاً؛ إنها مجموعة العلاقات التي يمكن اكتشافها بين العلوم عندما يتم تحليلها على مستوى الانتظام الخطابي لفترة معينة» (L'Archéologie du savoir, p. 250)⁽⁴⁰⁾.

فالإبيستيمه هو الانتظام الذي نلمسه في قواعد بناء الموضوعات (Objets) والذوات (Sujet) والتصورات (Concepts)، حيث يرى فوكو أن ما يحكم إنتاج المعارف عبارة عن نظام أو بنية تحكم الخطابات المختلفة، وهو يشكل

39. Foucault, *Dits et Écrits*, Tome II, Texte n o 139, pp. 268-81.

40. «l'ensemble des relations pouvant unir, à une époque donnée, les pratiques discursives qui donnent lieu à des figures épistémologiques, à des sciences, éventuellement à des systèmes formalisés ; le mode selon lequel, dans chacune de ces formations discursives, se situent et s'opèrent les passages à l'épistémologisation, à la scientificité, à la formalisation ; [...] L'épistémé, ce n'est pas une forme de connaissance ou un type de rationalité qui, traversant les sciences les plus diverses, manifesterait l'unité souveraine d'un sujet, d'un esprit ou d'une époque ; c'est l'ensemble des relations qu'on peut découvrir, pour une époque donnée, entre les sciences quand on les analyse au niveau des régularités discursives » (L'Archéologie du savoir, p. 250).

ولما كانت هذه الوحدات التي توصف بها المجموعات الخطابية (سواء كانت علما معينا أو أدبا أو رواية أو خطابا سياسيا) فكل هذه في أساسها القاعدي ليست سوى «ركام من الأحداث داخل فضاء الخطاب»⁽⁴⁷⁾.

يسمح مفهوم التشكيلات الخطابية (Foucault, 1969, p. 47) لفوكو أن يفرق بين سياقات ملفوظات تستعمل في الطب، وتمييزها عن أخرى تستعمل في اللسانيات، وأخرى تستعمل في الفلسفة، ويعرفها على أنها مجموعة ملفوظات يمكن إرجاعها إلى نفس النظام من القواعد المحددة تاريخيا. فالخطاب، حسبه، هو مجموعة ملفوظات تنتهي إلى التشكيلة الخطابية نفسها. إلا أن هذا المفهوم لا يقف عند العلوم بل يتعدى إلى كل مجالات المعرفة، فيسمح هذا المفهوم بتعيين كل مجموعة من الملفوظات المحددة اجتماعيا وتاريخيا، والتي يمكن إرجاعها إلى هوية تلفظية (كالخطاب الشيوعي، الخطاب الديني، الخطاب السياسي...)، وبمعنى آخر، يتناول هذا المفهوم إشكالية انتماء مجموعة من الملفوظات إلى نوع واحد، وكيف يمكن لكتاب سيبويه أن ينتهي إلى نفس المجال مع المقصور والممدود لابن مالك، وكون كتاب الطب لابن سينا أن ينتهي إلى نفس المجال مع مبادئ الطب والممارسة لويليام أوسلر (William Osler)، وماذا يعني النحو والطب والاقتصاد... «أليست. يستشكل فوكو. سوى تجميع ارتجاعي تتوهمها العلوم الحديثة من خلال ماضيها؟»⁽⁴⁸⁾. ويرجعها إلى هوية وثبات الموضوعات.

وهناك عدة علاقات للترابط في هذه الملفوظات، أهمها تجتمعها فيما بينها لتشكّل أسرا من الملفوظات، هذه الأسر هي التي يدعوها فوكو بالتشكيلات خطافية، أما عن العلاقة التي تجمع هذه التشكيلات فيحددها على أنها مجموعة ملفوظات تخضع لنفس القوانين، وفي نفس الوقت على أنها تشتت يتجاوز الانسجام.

يُظهر كثير من الشراح الذين تناولوا هذا المفهوم تناقضا في التعريف الذي أعطاه فوكو لهذا المفهوم⁽⁴⁹⁾، حيث إنه يرجعه إلى النظام والقوانين التي تحكمه، وإلى التشتت الذي يطبع هذه الملفوظات، إلا أنه إذا تأملنا كلامه، ومن خلال ربطه بفكره بصفة عامة، يمكن أن نفهم أنه يسعى لدراسة هذا التشتت من خلال التغيرات والتحويلات.

47. Foucault, i, p. 38.

48. *L'archéologie Du Savoir*, Tel (Paris: Gallimard, 1969), p. 48.

49. Dominique Maingueneau, 'Pertinence de la notion de for- : كما في: mation discursive en analyse de discours', *Langage et société*, n° 135.1. (2011), 87-99.

إلا أن فوكو تخلى في فترة ما عن هذا المفهوم، معلقا بأنه وجد نفسه في طريق مسدودة، لذا استبدل به مفهوما آخر يدعوه الجهاز⁽⁴⁴⁾ (Dispositif)، وهو يعرفه بأنه⁽⁴⁵⁾:

«مجموعة غير متجانسة بحزم، تضم الخطابات والمؤسسات والترتيبات المعمارية والقرارات التنظيمية والقوانين والتدابير الإدارية والبيانات العلمية والمقترحات الفلسفية والأخلاقية والخيرية، باختصار: المذكور، وكذلك غير المذكور.»

وبالتالي فالإبيستيمه عند فوكو يعد جزءا من معنى الجهاز، فإذا كان «الإبيستيمه خطابيا بالخصوص، فالجهاز على خلافه يقوم على الخطابات وغير الخطابات»⁽⁴⁶⁾. يدخل إذًا في تكوين الجهاز الخطابات والمؤسسات والمنشآت المعمارية والقرارات التنظيمية والقوانين والإجراءات الإدارية والملفوظات العلمية والقضايا الفلسفية والأخلاقية والإنسانية وغيرها. كما يستعمل هذا المصطلح في عبارات تدل توسّع مدلوله كقوله: «أجهزة المعرفة» و«أجهزة تأديبية» و«أدوات النشاط الجنسي» وما إلى ذلك.

6.3 تنظيم المدونة: «التشكيلات الخطافية»

يسعى فوكو لتحديد الوحدات التي تجزئ الخطاب، فبتحديدها يمكن معرفة الطريقة التي ينتظم عليها النظام، مشككا في قدرة التقسيمات السابقة على وصف الخطاب كالأنماط والأجناس الأدبية، وكذا الاستعمالات المنتشرة كالكتاب والمؤلف، ويشكك في كل وحدة لا يمكن ضبطها بحد معين ومعرفة خصائصها وما يميزها عن غيرها، وما هي القوانين التي تحتكم إليها.

44. استعمل فوكو مصطلح «Dispositif»، وقد اضطرب المترجمون إلى العربية في نقله حتى لا تكاد تجد اتفاقا بينهم، من معتمد على المعنى اللغوي للكلمة (جهاز أو آلية)، إلى باحث في إيتمولوجيته في القانون (منطوق) إلى مستحدث لمصطلح يقترب فيه من المفهوم الذي قصده فوكو (بنية تحتية). وقد اخترت هنا مصطلح «جهاز» لانتشاره في الدلالة على ما قصده فوكو، واقتداءً ببعض الترجمات الإنجليزية للمصطلح، والتي قابلته بـ«apparatus».

45. *un ensemble résolument hétérogène, comportant des discours, des institutions, des aménagements architecturaux, des décisions réglementaires, des lois, des mesures administratives, des énoncés scientifiques, des propositions philosophiques, morales, philanthropiques, bref: du dit, aussi bien que du non-dit* [M. Foucault, « Le jeu de Michel Foucault », *Dits et écrits*, op. cit., III, p. 299.]

46. *L'épistémè, c'est un dispositif spécifiquement discursif, à la différence du dispositif qui est, lui, discursif et non discursif* [M. Foucault, « Le jeu de Michel Foucault », *Dits et écrits*, op. cit., III, p. 299.]

المعرفة، كضغوطات جعلت الحكام يبحثون على طرق جديدة في الحكم حفاظا على السلطة أو لكي لا تنتفض الجماهير، هنا تأسست السجون وصارت الإعدامات تقام في السر، أي أن العقوبة صارت أكثر إنسانية، ومع ذلك، فإن النقطة التي يثيرها فوكو هي أنه غالبًا ما تكون التطورات التي نفخر بها نتيجة محتملة لبعض التغييرات التي لا علاقة لها بسابقها⁽⁵²⁾.

(3) ليس بالضرورة أن يكون التطور إيجابيا: لا بد من التنبه إلى عدم استخدام التاريخ لرؤية إمكانية التطور في المستقبل، حتى لو لم يتم في الحاضر. هذا يعني أنه لا يمكننا أن نتأكد من أن المسببات التي تحدث الآن سينجر عنها ظاهرة معينة بالضرورة، أو أن المجتمع سيتطور بطريقة منطقية وتقدمية، بل لا بد من التشكيك في المسلمات جميعها، وإعادة تفعيل القواعد السابقة من أن تطور التصورات أو الظواهر قضية احتمالية قد تحدث أو لا.

(4) عدم البحث عن المعنى الخفي: فالمقصود هو الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالموضوع المطروح، وليس ربطها بمعنى أعمق، كأن نحاول أن نفهم سياسة واقعنا. ففي كتابه الانشغال بالذات⁽⁵³⁾ يبني فوكو صورة دقيقة للتقنيات التي طورها الرومان القدماء لتأسيس أنظمة إدارة الذات، بما في ذلك تحليل الأحلام وتحليلات السلوكيات الزوجية. وليس يحاول أن يربط بين تلك الأحداث وما يجري في الواقع اليوم، إذ أي ربط قد يكون قياسا مع الفارق، كما أنه لا يلزم نفسه عندما لا يقوم بهذا الربط، بأي مطابقة بين تلك المجريات، وإنما تحليله مجرد تحقيق، فيبحثه في هذا الجزء الثالث من تاريخ الجنسية خال تماما من محاولة البحث عن المعنى الخفي لهذه الأحداث⁽⁵⁴⁾. وهذا ما يجعل فهم فوكو صعبا على كثيرين، حيث يحاولون فهم المعنى الخفي، أو ماذا يقصد، وربطها بواقعنا الحاضر. مع أن مقصوده هو الإشارة إلى الاختلافات التي تحدث على خطابات معرفة ما، ففائدة فوكو هو تقديم آلية تسمح لنا بتحليل المعارف، وليس تقديم أحكام عامة صالحة لكل زمان ومكان.

(5) البحث عن البدايات: تهتم الجينيولوجيا بالبحث عن البدايات، وذلك بالتشكيك في المسلمات المفترضة، فالبحث في بدايات الطب العقلي يكون بالتشكيك في المسلمات التي تفترض أن أصول هذا العلم ووظائفه مشروع نبيل مكرّس

7.3. الإجابة عن التساؤلات: «حدود التحليل»

فبعد إعداد المدونة، ورسم حدود الدراسة، لا بد من البدء في عملية التحليل، ويكون ذلك بالإجابة على التساؤلات التي طرحها في البداية. ورغم اختلاف هذه التساؤلات والإجابات التي يأتي بها من عمل إلى آخر، غير أنه يمكن استخلاص بعض القواعد العامة التي على ضوءها يكون التحليل، ويمكن إجمالها اختصارا في النقاط الآتية:

(1) تجنب الأحكام العامة: أي تجنب استصحاب الأحكام التاريخية على الحاضر، ففوكو يستعمل التاريخ من أجل الإدلاء برأيه في قضايا الجنون والعقاب والجنسانية وغيرها، إلا أنه من الخطأ استصحاب الأحكام التي وضعها وإصدار أحكام غير محصورة بالفترة التاريخية استنتجت فيها بأن ندعي صدقها في الماضي والحاضر والمستقبل⁽⁵⁰⁾. فمن خلال التقسيمات التي يضعها للتاريخ (من خلال الطبقات والإبستيمات)، يؤكد فوكو على أن المفاهيم (المعارف) التي قد تبدو لوهلة ما أنها ثابتة وأن المجتمعات البشرية في كل الأزمنة قد عرفت صورتها، هي على عكس هذا تتطور وتتغير من مجتمع إلى آخر ومن حقبة إلى أخرى، فهو يدرس التصور الذي يضعه المجتمع من خلال الخطابات التي يصدرها حول معرفة معينة، وكيف يتطور من مجتمع إلى آخر (من إبستيمه إلى آخر)، فهذا البحث في التطور يلزم منه أن التصور الذي بني له غير ثابت، لذا قلت أنه ينبغي تجنب الأحكام العامة. فطريقة فوكو تعني أن الإشكاليات لا تتوقف، بل تعترف بتغير الظاهرة، فيمكننا أن ندرس الأحكام والخطابات التي أنشئت حولها من فترة إلى أخرى. ومن خلال طريقة فوكو يمكن أن ندرس الخطابات التي أنتجت حول الجنون في فترة معينة ومجتمع معين، وكيف تختلف هذه الخطابات التي أنتجها مجتمع آخر أتى بعده، دون أن ندعي أن التصور السابق أثر في التصور الذي لحقه، بل النتيجة ليست سوى صدفة، حدث من بين احتمالات أخرى.

(2) البحث عن الاحتمالات بدل الأسباب: حين نصف حدثا تاريخيا أنه محتمل، يعني أن ظهور هذا الحدث لم يكن إلزاميا، وإنما كان نتيجة محتملة لسلسلة كاملة من العلاقات المعقدة من بين نتائج أخرى، وهذا ما أكد عليه في مقاله عن نيتشه⁽⁵¹⁾. إذ حين نقول أن هذه الأحداث احتمالية، فهذا لا يعني أن أي شيء يمكن أن يحدث (أو حدث بالفعل). فمن المؤكد أنه كانت هناك مؤثرات لعبت دورا في الوصول إلى

52. Kendall and Wickham, p. 6.

53. Michel Foucault, *Histoire de La Sexualité III Le Souci de Soi* (Paris: Gallimard, 1984), Tome 3.

54. انظر تفصيلا في هذا: Kendall and Wickham, pp. 13-17.

50. Kendall and Wickham, p. 5.

51. Nietzsche, *La Généalogie, l'histoire*.

التأريخ، في حين أن المنهجية التي تسمح لنا بالقيام بدراسة جينياولوجية ترجع إلى الأركيولوجيا.

اقترح البحث مجموعة من الخطوات الأساسية، والتي عند اتباعها يمكن القول التحليل يتبع منهجية فوكوية، تتعلق خصوصا بمدونة البحث وتنظيمها، وهي طرح التساؤلات، وقد ارتبط عند فوكو بتساؤلات عن مظاهر اجتماعية، ولا بد من مراعاة زاوية التحليل فهو لا يحلل الملفوظات كغاية في ذاتها وإنما هدفه دراسة المعرفة من خلال أرشيف خطابي معين، كما أشار البحث إلى أن فوكو لا يقف في تحليله عند الملفوظ بل يدرس بالتوازي معه المرئي، جامعا في مدونته بين ما يقال وما يرى، كما يحدد مدونته بطبقة تاريخية محددة، فمدونته مغلقة ومحدودة زمانيا ومكانيا، وهو ما يميز منهجية فوكو عن غيره، فهو لا يحلل كلاما (بالمعنى السوسيري) مفتوحا لتجده والابتكار الذي يلحقه مع كل استعمال، وإنما يدرس مدونة مغلقة يدعوها أرشيفا، ومن الخطوات كذلك البحث عن القواعد من خلال ابستمه أو جهاز يحدد طبيعة فترة تاريخية معينة، إضافة إلى هذا يقوم بتنظيم آخر لمدونته تتعلق بجعل الخطابات في تشكيلات موضوعاتية تنتظم بحسب «المعرفة» (على الاصطلاح الذي يريده فوكو للمصطلح) فإذا تحددت لديه المدونة وانتظمت يقوم بعدها بالتفسير والنقد، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التي وضعها أولا.. متقيدا في ذلك بمجموعة من القواعد أشار إليها البحث منها إلى تجنب الأحكام العامة، والبحث عن الاحتمالات بدل الأسباب، ودراسة التطور والتغير، وتجنب البحث عن المعنى الخفي، والبحث عن البدايات.

إلا أنه ينبغي التنبيه في الأخير إلى أن كتاباته لم يكن هدفها أن تبني نظاما ثابتا، وإنما لتكون أداة (أو صندوق معدات) فكرية لأي كان، بحسب حاجته، لدراسة ظاهرة معينة، بعدم الاستسلام للمسلمات المفترضة حولها والبحث عن أصولها، وكيف تؤثر القوى في تشكيلها وتحديد حقيقتها. لذا لا ينبغي أن تؤخذ هذه الخطوات على أنها عناصر ثابتة يلتزم بها كل بحث، دليل ذلك أن فوكو كان يعدل منهجيته مع كل معرفة يريد تحليلها، وهو ما اعترف به عندما قال: «ليس لدي طريقة يمكنني تطبيقها في مواضع مختلفة بنفس الطريقة»⁽⁵⁶⁾.

لخدمة الإنسانية، وذلك بتتبع تأثيرات القوة والمعرفة. فالطب العقلي ولد من نية ملء منازل مرضى البرص التي صارت فارغة بنوع جديد من المنبوذين اجتماعيا؛ المجانين. وفي المراقبة والعقاب⁽⁵⁵⁾ وصف نظام سجن مفترض يُدعى بانوبتيكون (Panoptique)، بدءا بمعمارته من حيث توزع الزنانات وعلو المنارة التي يجلس فيها مراقب السجن، ففي السجن يتبع السجنين جدولا دقيقا وملينا قصد إعادة إلحاقه بالنظام العام، وهذا يعني المراقبة (Surveillance) المستمرة للسجناء التي تتحد بشكل جيد مع فرض كيفية طبيعية أو معيارية (Normalisation) للتفكير وتصرف السجن الحسن، و كلاهما يعمل بشكل جيد مع عملية مستمرة من الفحص (Examination) وإعادة الفحص، حيث يمنحك الأشخاص في مناصب السلطة درجة تحدد مدى توافقك مع طريقة التصرف. كما يبين فوكو كيف تم توسيع هذا النظام على المجتمع في المدرسة والعمل وغيرها، فالنظام الجديد يحافظ على السلطة بتحكمه في الناس في سلوكهم وعاداتهم وطريقة تفكيرهم، بحيث يفرض عليهم طريقة تفكير معيارية تكون هي الطريقة العادية أو الطبيعية التي يخالفها المجرمون الخارجون عن القوانين الشرعية والاجتماعية.

خاتمة:

تركز الدراسات المنضوية تحت وسم التحليل الفوكوي للخطاب على علاقات القوة في المجتمع المعبر عنها من خلال اللغة والممارسات. وكأن التحليل الفوكوي للخطاب حتى يسمى كذلك لابد أن يتناول المواضيع التي شغلت فوكو، على حسب هذه النظرة، أما بواعث هذا الموقف فراجعة إلى الغموض الذي يكتسي منهجيته، حتى صارت توصف أنها فوضوية وليس لها قواعد تحكمها، وهذا ما حاول هذا البحث الاعتراض عليه، ببيان الخطوات التي يجب اعتمادها عند تبني هذه الطريقة.

حيث خرج البحث بأن المنهجية الفوكوية في تحليل الخطاب تقوم على مجموعة من الخطوات والقواعد، وها هو فوكو في 1969 يصدر كتابه أركيولوجيا المعرفة في محاولة لتوضيح منهجيته، وفي هذا دليل أن البحث عن منهجية فوكو أمر مشروع، ولكن لا شك كذلك أن منهجيته لم تتوقف عند ما ذكره فيه، حيث تظهر معالم أخرى لها في مؤلفاته المتأخرة عنه، وهذا ما جعل كثيرين يعتقدون أنه التفت عن المنهجية الأركيولوجية إلى الجينياولوجية، وقد تبين معنا أن الجينياولوجيا هي الهدف من البحث، فهي نوع من أنواع

56. Foucault, *Dits et Écrits*, Tome II, Texte n o 139, p. 404.

55. Foucault, *Surveiller et punir*.

المراجع:

21. Kendall, Gavin, and Gary Wickham, *Using Foucault's Methods* (6 Bonhill Street, London England EC2A 4PU United Kingdom: SAGE Publications Ltd, 1999) <<https://doi.org/10.4135/9780857020239>>
22. Lorenzini, Daniele, and Henri-Paul Fruchaud, *Michel Foucault: Qu'est-Ce Que La Critique? Suivi de La Culture de Soi* (Vrin, 2015)
23. Maingueneau, Dominique, 'Archéologie et Analyse Du Discours', 5, 2001, vii <http://www.revue-texto.net/Reperes/Themes/Maingueneau_Archeologie.html> [accessed 25 May 2021]
24. Maingueneau, Dominique, 'Pertinence de la notion de formation discursive en analyse de discours', *Langage et société*, n° 135.1 (2011), 87-99
25. Nakayama, Thomas K., and Robert L. Krizek, 'Whiteness: A Strategic Rhetoric', *Quarterly Journal of Speech*, 81.3 (1995), 291-309
26. O'Farrell, Clare, *Michel Foucault* (California: SAGE Publications Ltd, 2005)
27. Oliver, Paul, *Foucault - The Key Ideas*, 1st edition (Abingdon England: Teach Yourself, 2013)
28. Paltrinieri, Luca, 'Archéologie', *Le Telemaque*, N° 48.2 (2015), 15-30
29. ———, 'L'archive Comme Objet: Quel Modèle d'histoire Pour l'archéologie?', *Les Études Philosophiques*, 3, 2015, 353-76
30. Parker, Ian, *Discourse Dynamics: Critical Analysis for Social and Psychological Analysis* (Routledge, 1992)
31. Patrick, Juignet, 'Michel Foucault et Le Concept d'épistémè', *Philosophie, Science et Société*, 2015 <<https://philosciences.com/10>>
32. Revel, Judith, *Le vocabulaire de Foucault* (Paris: ELLIPSES, 2009)
33. Saar, Martin, 'Genealogy and Subjectivity', in *Michel Foucault* (Routledge, 2017), pp. 71-85
34. Van de Wiele, Jozef, 'L'histoire Chez Michel Foucault: Le Sens de l'archéologie', *Revue Philosophique de Louvain*, 81.52 (1983), 601-33
35. Wetherell, Margaret, 'Debates in Discourse Research', *Discourse Theory and Practice: A Reader*, 2001, 380-99
36. Willig, Carla. "Discourse analysis." *Qualitative psychology: A practical guide to research methods* 2 (2003): 160-186.
37. Willig, Carla. "Phenomenological psychology: Theory, research and method." *Existential Analysis* 19.2 (2008): 429-433.
1. Arribas-Ayllon, Michael, and Valerie Walkerdine, 'Foucauldian Discourse Analysis', *The Sage Handbook of Qualitative Research in Psychology*, 2008, 91-108
2. Ahl, Helene. "A Foucauldian framework for discourse analysis." *Handbook of qualitative research methods in entrepreneurship* (2007): 216-52.
3. Banister, Peter, Geoff Bunn, and Erica Burman, *Qualitative Methods in Psychology: A Research Guide: A Research Guide* (McGraw-Hill Education (UK), 2011)
4. Chomsky, Noam, and Michel Foucault, *The Chomsky-Foucault Debate on Human Nature* (New Press, 2006)
5. Deleuze, Gilles, *Foucault* (U of Minnesota Press, 1988)
6. Dreyfus, H. L., and P. Rabinow, *Michel Foucault: Beyond Structuralism And Hermeneutics, With an Afterword by and an Interview with Michel Foucault* (The University of Chicago Press, 1983)
7. Fairclough, Norman, 'Discourse Analysis: The Critical Study of Language', *Londres/Nueva York: Routledge*, 1995
8. Foucault, Michel, *Dits et Écrits: 1954-1988*, Bibliothèque Des Sciences Humaines (Paris: Editions Gallimard, 1994), I
9. ———, *Dits et Écrits*, Tome II, Texte n o 139 (Paris, Gallimard, 1994)
10. ———, *Histoire de La Sexualité III Le Souci de Soi* (Paris: Gallimard, 1984), Tome 3
11. ———, *Histoire de la folie à l'âge classique*. (Paris: Gallimard, 1961)
12. ———, *L'archéologie Du Savoir*, Tel (Paris: Gallimard, 1969)
13. ———, *Les Mots et Les Choses* (Paris: Gallimard, 1966)
14. ———, 'Nietzsche, La Généalogie, l'histoire', in *Hommage à Jean Hippolyte* (PUF, 1971), pp. 145-72
15. ———, 'Qu'est-Ce Que Les Lumières?', in *Dits et Écrits*, Gallimard (Paris, 1984), IV, 562-78
16. ———, *Surveiller et punir: Naissance de la prison*, French Language édition (Paris: Gallimard, 1975)
17. Graham, Linda J., 'Discourse Analysis and the Critical Use of Foucault', *The Australian Association of Research in Education Annual Conference*, 2005 <<https://eprints.qut.edu.au/2689/>> [accessed 23 July 2021]
18. Guerrier, Olivier, 'Qu'est-ce qu'un « régime de vérité »?', *Les Cahiers de Framespa. Nouveaux champs de l'histoire sociale*, 35, 2020 <<https://doi.org/10.4000/framespa.10067>>
19. Guilhaumou, Jacques, 'A Propos de l'analyse de Discours: Les Historiens et Le « tournant Linguistique »', *Langage & Société*, 65.1 (1993), 5-38
20. Harwood, Valerie, 'Truth, Power and the Self: A Foucaultian Analysis of the Truth of Conduct Disorder and the Construction of Young People's Mentally Disordered Subjectivity', 2000

The Saudi Journal of Philosophical Studies (SJPS)

Issue 3 | March 2023

By: Mana Publishing House

www.mana.net/sjps

sjps@mana.net

